الآداب
المجلد: 25، العدد: 01، ديسمبر 2025
الصفحات: 396 – 412
ISSN 1111 –4908 EISSN 2588 –2228

# مركزية الهامش وفائض المعنى في القصيدة الشعرية الجزائرية – مقاربة تحليلية لكتاب "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" لمحمد الهادي السنوسي الزاهري

# Centralization of the Margin and the Surplus of Meaning in Algerian Poetry: Analytical Comparison of Algerian Poets in the Present Age by Mohamed Hadi al-Senoussi al-Zahiri.

**ط.د. نوال حنتوت** [1]

**أ.د. مليكة دحامنية** [2]

[1] جامعة أمحمد بوقره بومرداس– الجزائر، n.hantout@univ-boumerdes.dz

[2] جامعة أمحمد بوقره بومرداس– الجزائر، m.dehamnia@univ-boumerdes.dz

مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو– الجزائر.

**تاريخ الإرسال:** 2024/06/02 **تاريخ القبول:** 2025/10/13 **تاريخ النشر:** 2025/12/11

**ملخص:**

يعد الشعر صورة من الواقع التي يبثها الشاعر للجمهور القارئ، في ثوب القصيدة الهادفة إلى التعبير عن آمال وطموحات الإنسان، ولعل أكبر آمال يمكن أن تشترك فيها الإنسانية أمل الحرية والاستقلال، وقد كان الشعر الجزائري إبان فترة الاحتلال لا يخرج عن ذلك المحتوى، ويعد كتاب: **"شعراء الجزائر في العصر الحاضر" لمحمد الهادي السنوسي الزاهري** من بين أهم الكتب المؤرخة للشعر الجزائري الذي يحاكي فترة الاستعمار، كما أنه كان حاملا في طريقة تأريخه للشعراء مجموعة من الآليات التي وجد فيها الكاتب ضالته في جمع الشعر، وفرض قضية الالتزام لأغراض شعرية معينة، وتفعيل عامل التراجم، والتركيز على سلطة الهامش، خدمة للمنهج التاريخي الذي انتهجه في تأليف الكتاب. فما هي الأوجه العديدة لصورة الهامش من خلال هذا الكتاب.

***كلمات مفتاحية :*** *شعراء الجزائر؛ التراجم؛ مركزية الهامش؛ سلطة المتن؛ الأغراض الشعرية.*

**Abstract:**

Poetry is one of the images of reality that the poet infuses to the reading public in a poetic form designed to express human hopes and aspirations. Perhaps the greatest hope that humanity can share is that of freedom and independence, and Algerian poetry during the occupation period was nothing short of that content. *Algerian Poets in the Present Age* by Mohamed Hadi al-Senoussi al-Zahiri is one of the most important books of Algerian poetry that simulates the colonial period. The book tackled a variety of mechanisms in which the author found his desire in collecting poetry, imposing the issue of commitment for certain poetic purposes,

**المؤلف المراسل: نوال حنتوت.**

activating the biography factor, and focusing on the authority of the margin to serve his historical approach to writing the book. Hence, what are th different aspects of the margin image portrayed in this book?.

***Keywords:*** *Algerian poets; biography; centralization of margin; corpus'sauthority; poetic purposes.*

**مقدمة:**

يعتبر كتاب: "**شعراء الجزائر في العصر الحاضر**" **لمحمد الهادي السنوسي الزاهري**، بمثابة وعاء حامل لمجموع القضايا والأفكار التي راهنت فترة الاستعمار، وقد تضمن هذا الكتاب العديد من الجوانب التقنية؛ من مقدمة تحكي المسار الآني لوضعية الكتاب، ومجريات ووقائع تأليفه، وامتدادا إلى مجموع التقنيات المتخذة كإجراءات شكلية خدمت المضمون والمحتوى الكتابي كفضاء الصورة، والتعريف بوضعية الشاعر، وأسباب وعوامل تأليفه للقصيدة، وانتهاء بالهامش الكتابي الذي عُدَّ كواسطة ربط بين جسور الكتابة والقراءة، والذي احتمل العديد من التفسيرات اللغوية والمصطلحية للقصيدة، وهذه الأخيرة لعبت بدورها من خلال المضامين التي احتوتها على فتح أبواب قضية الهامش بكل معانيه، وذلك من منطلق اعتباره دوامة الحياة الجزائرية في الفترة الاستعمارية، وكيفية تمكنه من الخروج نحو مسار المركزية، وذلك عن طريق التنديد بعدة مواقف لا طالما كانت أهم مبادئ الحركة الإصلاحية تجسدت في صورة فنية أدبية تحاكي الكينونة الفردية، الوطنية، والقومية في شاعرية تُبَلِّغُ صداها للآخر.

ما يحيل بنا إلى القول إن: حرية القلم كانت من أولى المبادئ التي فتحت الطريق للحرية الإنسانية أن؛ تجسد فعاليتها على أرض الواقع في مختلف مجالاته هدفا للدفاع عن مسألة مبدأ المتمثلة: في الحرية الفكرية، الفردية، والوطنية.

– **الإشكالية**: التي نطرحها في هذه الدراسة التحليلية تتلخص في مجموع أسئلة مفادها:

– فيم يتجلى مفهوم المركز والهامش داخل القصيدة الشعرية؟

– ثم ما هي الجدلية المترتبة عن عاملي الهامش والمركز في تكوين الحدث الشعري؟

– وما هي تمثلات الهامش الذي يُفَعِّلُ الواقعة الشعرية بمركزيته؟ وكيف ساهم هذا الأخير بفعاليته المركزية في تشظي الدلالات التي تبني المحتوى الشعري، وبالتالي تأكيد المعنى وخدمته؟

– وما هي الأوجه العديدة لصورة الهامش من خلال كتاب: **"شعراء الجزائر في العصر الحاضر"؟**

**– منهج الدراسة:** اتبعنا في هذه الدراسة المنهج الوصفي لتتبع ظاهرة التأليف لمجموع القضايا التي احتوى عليها الكتاب، وكيفية تبرير الكاتب لهيمنة الجانب الهامشي (الشكلي والمضموني) داخل القصائد الشعرية الأمر الذي جعلنا نحتمل وجود بعض القضايا التي وجب تحليلها بالدراسة السيميائية من أجل تفكيك مجموع الشفرات المكونة لمركزية المحور الهامشي في كتاب: **"شعراء الجزائر في العصر الحاضر"**.

**– هدف الدراسة:** يتمثل في إبراز الكيفية التي استطاع من خلالها الهامش أن ينتقل من خطه الجانبي متجها نحو مركزية الهامش القوية في تفعيلها للحدث التاريخي، وبناء صرح المناجاة والمناداة لبني الأمة من أجل التمسك بحبل الآمال المتطلعة إلى الحرية الشخصية الفردية، والمتمثلة في الكتابة والتعبير عن الآهات وتحديد الغاية والوسيلة المنشودة حول المناهضة والتوجيه، وإصلاح الوجهة الإنسانية من أجل معرفة تبرير الوسيلة لبلوغ الغاية الأسمى.

الأمر الذي يدعو بنا إلى البحث عن صورة هذا الهامش المتمثل في الفن الشعري، الذي تَمَّ بعثه في صورته التثاقفية الجديدة، نتيجة التأثر بالمدرسة الكلاسيكية والواقعية، التي خدمت التوجه الشهري الجزائري المناهض ضد السياسة الاستعمارية.

## 1.مفهوم المركز والهامش:

يبدأ كتاب: **"شعراء الجزائر في العصر الحاضر"** بالإعلان عن قضية المركز والهامش، من خلال المقدمة التي عرض فيها الكاتب أهم النقاط الرئيسة لتأليف الكتاب، وتجسيد صفحات شعر تؤرخ لشعر الجزائر، ويؤكد الكاتب هذا المنطلق قائلا في مقدمة كتابه: **" فَكِّرْ في أي عظيم حدثتك عنه أسفار التاريخ تجد الآمال من مرضعات عظائمه من قبل أن تتفرع أغصان شبابه فنمت بنموه، حتى استوت أعمالا جلائل فأخرجها للناس آيات منها بينات"**[1].

لذلك نقول إن: النقطة الأساس التي تثير الجدل حول مركزية الهامش تتمثل؛ في فتح باب الشعر الذي يحاكي الحياة المعاصرة لزمن الاستعمار، وفتح باب الشعر المنقح، جزيل اللفظ، رصين اللغة، واضح المعاني، هادف إلى آمال يريد تحقيقها، عن طريق دعوة شعبه لأن يطرق أبواب التحدي، ويكسر حاجز الخوف، لينتشر حرا طليقا نحو إيجاد شفرات يفك بها لغزه؛ الذي أضحى به إنسانا داخل دوامة حياتية واقعية، ضاق درعا من أجل الخروج منها وتحقيق عدالة الحرية.

ولم يستقر موضوع المركز والهامش عند محمول مصطلحي واحد؛ يُعَبِّرُ وبدقة علمية عن مدلوله وماهيته كون أنه رهين اختصاصات متعددة اجتماعية، اقتصادية، سياسية، وثقافية، بحيث نلمحه في كل من هذه المجالات خادمًا للسياق الوارد فيه "**ولعل قيمته تكمن في قدرته على جمع هذه المجالات وتكييف عناصرها، فكلما تطرقنا إلى مجال ما من هذه المجالات إلا وتدخلت معه المجالات الأخرى بشكل أو بآخر فيصعب الفصل بينهما أحيانا**"[2] والذي يهم في هذه الدراسة مصطلح المركز والهامش في السياق الأدبي، حيث نلمحه هو الآخر مصطلح محكوم بعدة جوانب: "**دينية سياسية ثقافية فنية جمالية تاريخية... وبناء على ذلك تهمش آداب وتبرز بعضها للوجود فتأخذ موقع الصدارة**"[3] ولعل من بين أهم الآداب التي رفعت من مكانتها الحركة الإصلاحية الجزائرية إِبَّانَ فترة المستعمر الفرنسي، هو موضوع الشعر، حيث رأت فيه الوسيلة المثلى لبلوغ الغاية المنشودة في رفع همة الشعب الغارق في دوامة المأساة والمعاناة، ومحاكاة تلك المأساة بغية تصوير الواقع، والبحث عن الحلول الممكنة لمعالجته.

ولذلك نخص في تعريفنا للهامش المركزي في المجال الأدبي: "**الطبقة المهمشة وهي طبقة تمزقها الهموم والهواجس التي حملوها على ظهورهم ولا يفارقهم الأمل رغم ذلك في نفوسهم بقدوم غد أفضل أو ربما موجود، حتى إن كانت تعيش في الهامش، إلا أن أفرادها يصنعون الحياة وإن لم يشعر أحد بهم**"[4] والذي تَمَثَّلَ ضمن القصائد الشعرية لهذا الكتاب، تحت إطار قضية الهامشي المتمثل في الشعب الجزائري، ومجموع القضايا الهامشية التي تحتل قيمة كبيرة داخل وسطهم، والتي يرون فيها الآمال المنشودة من أجل المناهضة والمقاومة.

وانطلاقا من هذا نقول إن: القصيدة التي بعثت قوامها الحركة الإصلاحية، وقد كان "**ارتباط الشعر الحديث في الجزائر بالحركة الإصلاحية جاء أمرا طبيعيا لأنه كان من أهداف هذه الحركة، تشجيع اللغة العربية ونشرها بكل الوسائل وخدمة الثقافة العربية الإسلامية وإذاعتها في الأوساط الجزائرية بمختلف الأساليب، وكان الشعر أحد أدواتها و أساليبها**"[5] والتي جاءت في بنائها وملفوظاتها موازية للشكل الشعري الخاص بالحركة الكلاسيكية في المشرق، إنما ركزت على دائرة الهامش المركزي، هَدَفًا لفتح نطاق قضايا مسكوت عنها في الجانب الحياتي للفرد الجزائري، والتي رأت فيها الحركة الإصلاحية، والحركة الشعرية، عَامِلًا فَعَّالاً في جَسِّ نَبْضِ الفرد الجزائري.

فالخطاب الموجه في شكل قصيدة شعرية، اتخذ صفة التأكيد، واستخدم جملة من التبريرات كنمط للمواجهة، مُفَعِّلًا تلك المناحي باللعب على وتر الهامش والمركز **"فيبدو الهامش مركزا مثلما سيرتد المركز إلى الهامش، فهو مركز ولا مركز؛ لأنه هامش، وهو هامش ولا هامش لأنه مركز، فهو في آن واحد مركز وهامش، وفي اللحظة ذاتها لا مركز ولا هامش"**[6].

في حين نجد المركز الذي يحاكيه الشعر الجزائري في كتاب: **"شعراء الجزائر في العصر الحاضر"** إنما يتمثل في السلطة، والسلطة المضادة، إذ يتماشى الحوار داخل الكتاب بين ثنائيتين لها تباعد كبير في المنحى الفكري الثقافي، الاجتماعي والتواصلي، فكل هذه المحمولات عند السلطة التي أعلن وجودها الشعر، ويريد توصيل قضيتها إلى الرأي العام، تتمثل في الهامش المتطلع دائما إلى حلم المركزية، أما المحمولات التي يتم تفنيذها ودحضها داخل المحتوى الشعري فإنما تتمثل في السلطة المستبدة، والتي سطرت هيمنتها من خلال قهرها للسلطة الهامشية قهرا ثقافيا عن طريق عامل **"الابتذال الذي تشوهت من خلاله القيم والمفاهيم الخاصة بالثقافة المفروضة"**[7] الأمر الذي أحدث الجدلية بين المركز والهامش ضمن المسار الشعري للقصائد داخل الكتاب ، فالمركز والهامش نجدهما تارة في حالة تقاطع حينما؛ يحس القارئ بأن ميكانيزمات المركز كلها في كفة الهامش، وفي حالة توازي حينما؛ تتساوى القوة المنتصرة أمام القوة المركزية المستبدة، التي تحاول إدخال عناصر ثقافتها عنوة وتعسفا تحت ما يسمى بالثقافة السائدة.

وبناء على ما سبق نقول إن: فعالية القوة الهامشية المركزية؛ هي الرؤية المتمركزة داخل القصائد والتي تم تفعيلها اتجاه القارئ بشتى الوسائل، كونها تخاطب الوجدان والعقل والزمن والحياة في آن واحد.

## 2. أيقونة المتجلي والمضمر الهامشي في القصيدة الشعرية:

### 1.2 البناء الشكلي للقصيدة الشعرية:

#### 1– عتبة الصورة:

يمثل الهامش في كتاب: **"شعراء الجزائر في العصر الحاضر"** بمختلف أيقوناته المتعددة بنية مُكَمِّلَة للعمل الشعري، وخادمة لمجموع العتبات النصية للقصائد، وأولى هذه العتبات نجد عتبة الصور الفوتوغرافية لكل شاعر يَنْظَمُّ ضمن هؤلاء الشعراء، وما تحمله دلالات اللون واللباس وهيبة الشخص كلها تمهد لتاريخية القصيدة، وتحكي جزءا من تاريخ الجزائر الفني الشعري، وتبرز المنهجية التاريخية المتبعة في توثيق الفن الشعري.

وهي تاريخية آنية للوضعية الزمنية التي أُنْتِجَتْ فيها القصيدة، وقد احتوت الصور الشخصية على دلالات التوثيق، هدفا لبداية إعلان مرحلة خدمة القلم الفني الشعري داخل الساحة الفكرية الوطنية في هيئته الجديدة لغويا ودلاليا، الأمر الذي يدعو إلى القول: **"أن هناك تكاملية بين التفكير بالصورة والتفكير بالكلمة"**[8] وهذه العبارة توحي بدلالتين، الأولى تدل: على كلمة الشاعر المجسدة في قصائده والتي تهدف إلى توجيه المتلقي لأهداف معينة، والثانية تتمثل في كلمة المتلقي الاستقرائية التعبيرية والمختصرة في صورة ذهنية رابطة بين الصورة الحقيقية للشاعر، وقصيدته وأسلوبه.

فالصورة الفوتوغرافية في هذا المقام إنما؛ تحيلنا إلى التصور الخاص للأحداث والتمثيل البصري، وتدل على خلق تعريف ومعرفة بالشخص، وكذا تبجيل للحدث التاريخي المعلن من قبل الكاتب، المتمثل في الإعلان عن ميلاد كيان معرفي مهمش، ألا وهو الجانب الشعري، الأمر الذي يؤكد لنا القول بأن: هذا الكتاب يعد **"بحق أول خطوة يدخل بها الشعر الجزائري دور الحداثة، وقد قدم هذا الديوان بجزئية اثنين وعشرين شاعرا يختلف شعرهم، عما ألفه الناس مما سبقوهم، أصالة، وانطلاقا، ومضمونا، وشكلا"**[9].

لقد حملت الصورة الفوتوغرافية دلالات عِدَّة داخل كتاب: **"شعراء الجزائر في العصر الحاضر"** وبذلك استطاعت أن تخدم الجانب الضمني للقصيدة من خلال منحها هويتها وكينونتها في الوجود الفني الأدبي الشعري الجزائري، ونقلها من إطار المجهول إلى إطار المعلن.

وفي هذه الواجهة نقول إن: الصورة أصبحت مكونة من حدث أصلي، تنم عنه أحداث أصلية استنبطت من خلال التأويل، والمتمثلة في حدث التأريخ، وحدث إثبات هوية القصيدة، وحدث التعريف بشعراء الجزائر شخصا وشعرا، وحدث الإعلان عن صورة الحداثة في الساحة الفنية الشعرية الجزائرية.

فالصورة الشخصية إذن؛ مثلت وثيقة تثبت وجود قرائح شعرية، نهضت من تحت ركام التهديد والقهر والمساومة للمبادئ الفكرية ودحضها، كما تعد وثيقة تأريخية لزمن الشعر والشعراء في الجزائر وبالتالي الإعلان عن قانون المثاقفة الشعرية الجزائرية للشعر المشرقي، واتخاذه كمركز تنطلق منه للمناجاة والإصلاح التوعوي، والبعث على التفكير الهادف للتحدي، وتحقيق الانتصار.

## 2- الكتابة والترجمة :

استدرج الكتاب المرسل من قبل جميع الشعراء، التحية الخالصة والتهاني لصاحب كتاب: **"شعراء الجزائر في العصر الحاضر"** كما تحدث عن الاعتذارات، والمماطلة في إرسال القصائد، كما احتوى أيضا على الشكر والعرفان للمبادرة التي خط طريقها الكاتب.

وعلى إثر قضية الشكر والعرفان نقول إنها: قضية حركت الهامش نحو المركز بقوة، وأعلنت عن النخبة الفكرية، والتعامل الفكري والعلمي للنخبة، التي اكتسبت القانون العرفاني من تعاليم القرآن الكريم.

وقد خصت قضية الشكر مبادرة صاحب الكتاب القَيِّمَة والفريدة من نوعها في تاريخ الجزائر، والتي هي عبارة عن عملية تحاكي عملية القدماء في تأريخهم للحركة الأدبية الفنية في المشرق، إضافة إلى ذلك تعد قضية المراسلة واجهة تاريخية عملت على خدمة المنهجية التاريخية المتخذة في تحكيم الكتاب.

### 3- الهامش الكتابي:

اتخذ الهامش الكتابي شكلين أساسيين في طريقة كتابته، فمنه ما نبصره في يسار القصيدة المتواجد محاذيا للعنوان، يشرح فيه الشاعر مناسبة القصيدة، والأحداث التي يدور حولها المضمون، ومنه ما نجده أسفل القصيدة، يشرح بعض المعاني المستصعبة، ويعلن كذلك عن مناسبة القصيدة، ويوضح المفردات الصعبة بشرحها من القواميس العربية القديمة.

فالهامش الكتابي، احتمل ثنائيتين في خدمة المسار الشعري على مدى صفحات الكتاب، وهي ثنائية التفسير للحالة والظروف والوضعية التي دونت فيها، ومنها، ومن خلالها، وعليها القصيدة، وكذا ثنائية التوضيح والشرح اللغوي لبعض الألفاظ المستصعبة، والتي تندرج ضمن المعجم اللغوي العربي الفصيح؛ وهذا من سمات الشعر الكلاسيكي الواقعي النهضوي للحركة الشعرية المشرقية.

والمستنبط حول قضية الهامش الكتابي: أنه عبارة عن بطاقة تعريفية للقصيدة، التي عدت في هذا المقام وثيقة تاريخية معلنة الحدث والتاريخ والبيئة، الأمر الذي يطرح قضية القارئ ووضعية بيئته، ومكانته ووجهته المحدودة في الثقافة، فالرسالة الموجهة هنا أن: الشعر التوعوي، المناهض، الواقعي لا يتطلب أن يكون قارئه قارئًا نموذجياً؛ سواء في زمنه أو زمن آخر، فمهمة القارئ لا تتعدى سوى أن يكون قارئًا واعياً للأحداث التي تدور حوله، ، والميل للكفة التي تريد أن تنفض عليه غبار التهميش بشتى ظواهره وتستنهض فيه روح المقاومة، وتمكنه من اكتساب طريقة التحدي للخروج من المأزق المأساوي.

أما فيما يخص القارئ الحديث الذي لم يعاصر زمن الاستعمار، فبإمكانه استقراء الدور الذي ساهم به القلم في تكوين كيان الفرد الجزائري أنذاك، وكيف جعل منه فرداً قادراً على مواجهة مصيره، وكذا استقراء طرائق الحركة الإصلاحية وقدرتها في تمديد أفكارها، ونزع ما هو مُهَمَّشْ، والخروج به من دائرة الهامش إلى الهامش المركزي.

### 4- عتبة العنوان:

جاءت عناوين القصائد محملة بمحمولات نفسية، تشير إلى عدم الاستقرار النفسي كنتيجة للوضع المعاش، كما جاءت أيضا محملة بمحمولات فكرية اجتماعية، تراثية، دينية ووطنية تشكل مضمونا للقصيدة.

لقد برزت ظواهر الهامش ضمن عناوين القصائد التي نلمح فيها أيقونة الوطن والتحدي والانتصار له حتى وإن هو مغلوب على أمره، إثباتا للانتماء الإنساني الروحي والوجداني لأصله وأرضه، واللذان يمثلان ناموس الحياة الذي شَرَّعَ بقوانينه التي يحتكم إليها الإنسان، وأولى هذه القوانين نجد قانون الانجذاب والاحتماء للوطن البيت، الذي يعد عنوانا للهوية الجزائرية، المعاني التي نلمحها في قصائد:**"مابال أشيل يهدي"، "يابلادي"، "رد التحية"، "الجزائر تُحَيِّ الجزائر" "ذكرى زهرة الأيام"،"تلك المدينة كم دان الزمان لها"، "هي الجنة الفيحاء"**[10].

كما نجد عناوين القصائد التي تطرح قضية الثقافة الدينية والتمسك بالأخلاق الدينية والاعتصام بحبل الله المتين، والانتصار للإسلام لأنه؛ الباعث الحقيقي لقوة العزم نحو التحرر واكتساب الحرية، ومن بين هذه العناوين نجد: قصيدة **"إلا في سبيل المجد – الإسلام يتكلم"**[11].

إضافة إلى ذلك نجد: العناوين التي تعالج الآمال والطموحات النفسية، وترفع من مكانتها كقيمة إنسانية وجب التحلي بها، والعمل عليها، وكذا التحلي بالهمة والنشاط بدل الركود والجمود ومنها نجد: **"حياة نشاط"، "النصر العزيز"، "ليت قومي يعلمون"، "الناس والدهر"، "الإفراط"**[12].

فكل هذه العناوين تُبَيِّنُ مواضيع الفن الشعري، والتقيد والعمل بها كوسيلة للخروج من قوقعة الدمار النفسي، وعليه نلمح أن هذه العناوين حملت أيقونات خادمة للجانب النفسي والمتمثلة في التوجيه الترغيب، الحث والتذكير بضرورة الولوج إلى البوابات التي تكسب فائض الزمن، وتمنح عامل القوة، وتكسر

حاجز الخوف، وتختصر مسافة الوصول إلى تركيبة نفسية جديدة لا تعرف التراجع، وتفند وجود خيبة أمل تكسر كيانها، وتتعب نفسيتها، وتبعدها عن المقاومة.

كما تبرز من خلال عناوين القصائد : الظاهرة الفنية الشعرية التي كانت مُغَيِّبَة وهَامِشِيَةَ الفعالية في محاكاة واقع الحياة الإنسانية الجزائرية، التي تغير مسارها بعد الإصلاحات التي مست جميع الجوانب الإنسانية الجزائرية، والمتمثلة في الحركة الفنية الشعرية الإصلاحية **"فقد أصاب الشعر على يد الحركة الإصلاحية تطورا ملموسا، تجلى في ظهور شعر جديد يختلف كثيرا عن شعرها قبل الحرب العالمية الأولى، متعدد الأغراض يتماشى مع الواقع الاجتماعي ويستلهم وجدانه الجماعي، فكان أن ظهر الشعر الوطني والإصلاحي والاجتماعي والسياسي كما تطور من ناحيته الفنية بعض التطور"**[13] فهذا المهمش الثقافي إنما؛ كان مبعثه من جانبين: جانب الأغراض والمضامين التي تلامس الحس النفسي والوجداني والعاطفي والوطني لدى الإنسان الجزائري، وجانب فني لغوي يصحح القريحة اللغوية العربية ويساير الموكب الشعري الصحيح، ويبعث روح اللغة العربية لِتُشْرِقَ أنفاس الجزائري، وتمحي عقدة لسانه وتثبته على القوام الكلامي الأصيل الذي هو جزء من انتمائه وتراثه .

ولذلك نقول إن الحركة الإصلاحية اتخذت من الشعر مَكْسَباً مَرْكَزِيًا تُحَاوِرُ به الأمة حول قضايا مصيرها، كما استطاعت أن تُكْسِبَ هذا الشكل من **"التعبير نوعا من الانطلاق والحيوية، وتخلص كثيرا مما كان يثقله من آثار الصناعة اللفظية والبديع المتكلف، كما استطاعت بعض القصائد أن تعرف نوعا من الوحدة في الموضوع، وإن ظلت السمة الغالبة عليها تعدد الموضوعات في القصيدة الواحدة"**[14] والتي تحاكي وقائع الهامش، وضرورة معالجتها، والجعل منها وقائع مركزية للحياة الجزائرية بنفض غبار التهميش عليها، ومن أبرز عناوين القصائد التي أكدت على أهمية الفن الشعري؛ مركزيته، ضرورته وفعاليته في محاكاة الواقع والتنبيه للعديد من القضايا، التي مع انعدامها تم تثبيط إرادة الشعب الجزائري نلمح : **"كلمة شاعر"، "الشعر الفحل"، "الأقلام لسلاك المناجاة"، "شاعرنا والحقيقة"، "قلمي وغلامي"**.

لقد كان لقضية الاغتراب أيضا نصيب من الإشارة إليها من خلال قصائد عديدة: **"فلا تحسبوني ناسيا"، "وداع الوطن"**، والاغتراب كما يقول عنه **"عمر بوقرورة": "ظاهرة قديمة وافقت المجتمعات البشرية منذ الخليقة"**[15] وتطورت واتخذت عدة صور وأشكال متنوعة في العصر الحديث، وهي في

صورتها الأعم واقعة يراد بها في المجال الأدبي مناجاة الشاعر الداخلية بينه وبين الجمهور المستمع للآهات والمستقرئ لمتموجات الحالة النفسية الداخلية للشاعر، التي تظهر في خضم تلك المناجاة، والتي تصور نفسيته بين مد وجزر؛ بين ماضيه الذي يحن إليه، وحاضره الذي هو مجبر الاستكانة إليه، وأيا كان هذا الماضي شخص أو مكان أو مجموعة مبادئ وقيم، فصورة الاغتراب لا ينحصر مفهومها في المكان "الوطن" وإنما؛ يتعدى إلى محسوس آخر متمثل في الذات، و مجموع مجردات متمثلة في القيم والعادات والأخلاق والأعراف.

## 2.2ظواهر الهامش:

### 1- الاغتراب :

يستجلب الحديث عن ظاهرة الاغتراب في كتاب: "**شعراء الجزائر في العصر الحاضر**" التوقف عند محطات عديدة وقف عندها الشعراء، ومن أبرز هذه المحطات نجد: اغتراب النفس والروح، الاغتراب المكاني، الاغتراب والإحساس بالقهر والحرمان.

ومجموع هذه المحطات إنما؛ تبرز ظواهر الاغتراب في الواقع النفسي الجزائري، وذلك من منطلق إعتبار أن "**الغربة هي الإحساس الداخلي بأن الفرد معزول عن المجتمع الذي يعيش فيه بما يراه بعيدا عن عاداته وتقاليده وطراز حياته الذي ألفه في وطنه، وأحيانا في أشكال الناس ولغاتهم وعاداتهم الاجتماعية**"[16] وهي نقطة اشتراك أساس بين الشاعر والقارئ، ولكن الفاصل في الاغتراب بين ما يُحِسُّهُ الآخر المغترب، وبين والقارئ والشاعر الجزائري، هو أن الغربة الحقيقية التي يعيشانها هذين الأخيرين هي غربة داخل الوطن، أثبتت وجودها سلطة المركز – الاستعمار — عن طريق تحويل المركز إلى هامش، ومحو كل آليات تعايشه الفكري، الثقافي والديني، و القضاء على مجموع العادات والتقاليد والأعراف، والجعل منه إنسانًا تأزميًا، يتماشى في وتيرة تصاعدية نحو الأزمة الأكثر تعقيدًا، إلى أن يصل إلى عدم مقدرته للتجاوب مع الحياة، و من ثَمَّ الانفصال عن مفهوم التعايش المجتمعي.

**أ- اغتراب النفس والروح:** وهي ظاهرة من الظواهر التي نادى بها شعراء الكِتَاب، وتشاركوا فيها مع القارئ ابن بيئتهم المتأزمة مشاركة فعلية، حيث نجد أن دوافع اغتراب هذا النوع الهامشي"**هو الآخر كثيرة، فمنها دافع الشعور بالغربة الطبقية أو الاجتماعية، ومن دوافعه ما يعانيه الإنسان داخل وطنه من ضغط وتقييد للحريات السياسية والفكرية**"[17]

ونجد الشاعر **محمد اللقاني السائحي** في قصيدته "**إلى الشعب الجزائري**" يقول:[18]

**ها نحن ياقوم في ذي الأرض من بشر ... سوى وحوش لمن يرمي فيرمينا**
**حياتنا قط لا يرضى بها أحد ... وعيشنا صار قزوما وغسلينا**
**بالجهل صرنا حيارى في مواطننا ... والعيش ظل على بعد يناجينا**
**كيف السبيل وقد ضاقت مذاهبنا ... وفسحة الأرض لا تكاد تأوينا**
**يا دهر رفقا بأغنام مقطعة ... عثى بمريضنا سيد ليبلينا**
**يا دهر مالك لا ترثي لحالتنا ... يا يادهر رفقا بأقوام مصابينا**
**إن كان شأنك إرضاء لعدوينا ... فدون هذا يرضى به معادينا**

من خلال ما ورد في هذه الأبيات نلمح أنه "**في كثير من الأحيان تخرج رؤية الكاتب للواقع على شكل بوح واعتراف بالألم وإحساس صادر بالمهانة والضعف والهزيمة، وفي ذلك إطلالة من على دواخل الكاتب وما يشعر به اتجاه ذاته المبدعة، وتجاه الآخرين أو القراء**"[19] الأمر الذي يؤكد على أن من استراتيجيات الكتابة الفنية الإبداعية التي شكلت الشعر التوعوي المناهض؛ الاعتماد على مبدأ المشاركة التفاعلية الداعية للتغيير من قبل الشاعر، والنتيجة هي دخول القارئ واجهة المقاومة، كهدف أسمى نحو التغيير الإيجابي.

ويتأسف "**محمد الهادي السنوسي الزاهري**"، في قصيدته: "**تلك المدينة كم دان الزمان لها**" عن الوضعية المزرية التي آلت إليها نفسية الجزائري، الذي أصبح رافضا لما يفرض عليه من آليات تحثه على المبادرة في إعادة تكوين نفسه من جديد، وبعث روح الأمل، حيث أصبحت الحياة عنده عبارة عن استهزاء وسخرية وتهكم ورضا بالمصير، ورفض كل المحاولات المتاحة له، من أجل التغيير، حيث يقول:[20]

**ونحن يا أسفي– عكف ... على نقر دف وصوت سماع**
**ومن قام منا لإرشادنا ... وَسَعْنَاهُ شتما دون انقطاع**
**وهذي الحياة ميادين رزق ... ولا رزق يأتي بدون صراع**

فالغربة التي نبه إليها الشاعر إنما وجودها مؤقت، ولا يتحقق اضمحلالها إلا مع تحقق النصر الذي يمنح الإنسان حريته.

ويرجع الشاعر "**محمد السعيد الزاهري**" موضوع الاغتراب الروحي إلى القهر والحرمان، وفقدان الأخلة، والعيش في العزلة التي تنهك الروح والوجدان، وتتعب الفكر، حيث يبين في قصيدته: "**الناس**

**والدهر"** صورة الاغتراب في المجتمع الجزائري، الذي جعل الفرد الجزائري يعيش في زمن مجهول، يتساءل دائما عن سر الخروج من المأزق، حيث يقر الشاعر أن النفسية القوية هي مخرجه الوحيد من الأزمة:[21]

**أمـــا نكـــدت وإنـــي غيـــر منكـــود ... فالنـــاس بـــين محـــروم ومجـــدود**
**هـــذا يحصـــل مـــا يبغـــي بـــلا تعـــب ... وذاك يشـــقى ولـــم يظفـــر بمقصـــود**
**وهـــذا تعنـــو لـــه الـــدنيا فيمـــزح فـــي ... ظـــل ظليـــل مـــن الســـلطان ممـــدود**
**وذالـــك يـــزرح تحـــت الهـــون مضـــطهدا ... فـــلا ينفـــك ذاهـــم وتســـهيد**
**وهـــذا لـــيس لـــه فـــي المجـــد مـــن غرضـــة ... لا الفعائـــل مـــن بـــيض وســـود**
**لا هـــو يـــنهض يومـــا للســـماح ولا ... تـــراه يقـــرع صـــنبوجا إذا نـــودي**
**وكـــم لآخـــر مـــن ســـؤل ومـــن ارب ... مـــع معلـــق بحبـــال الشـــمس معقـــود**
**مـــا إن يـــزال حثيـــث الســـير ينشـــده ... حتـــى حتـــى يبـــوء بمـــأمول ومنشـــود**

**ب- اغتراب الهجرة والبعد عن الوطن:** هي من أبرز أنواع الاغتراب التي نشد بها الشعراء، والتي يجدون فيها المتنفس الوحيد للتغني بالوطن، وتبيان درجة الحب والحنين، وتعود أسباب هذا النوع من الاغتراب في غالب الأحيان أن **"الفقر والحرمان والبؤس يدفع الكثير من الناس إلى هجرة أوطانهم ،كما يدفعهم إلى ذلك الاستعمار وممارساته، أو تعرضهم للظلم والذل من قبل الحكام، وقد يهجر البعض أوطانهم بسبب تفشي الاضطراب والفوضى وانقسام الأمة، وانهيار الدولة على جميع الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية"**[22] ويتحدث الشاعر **"أبو اليقضان"** في قصيدته **"وداع الوطن"** عن لوعة الفراق والشوق والحنين إلى أقاربه قائلا:[23]

**بـــلادي منبـــت العظمـــا وداعـــا ... فقـــد أزف الرحيـــل بنـــا ســـراعا**
**ســـنرحل والقلـــوب لـــديك تبقـــى ... تحيـــي دائمـــا تلـــك البقاعـــا**
**فكـــم فـــي الســـير مـــن نفـــع عظـــيم ... لشـــعب حـــل ضـــعفا وضـــاعا**
**وهـــل نهضـــت بـــلاد الضـــعف إلا ... بفضـــل الســـير فـــي الأرض اطـــلاع**
**ســـنعمل مـــا يبـــيض منـــك وجهـــا ... بـــإذن الله عـــزا وارتفاعـــا**
**إذا كـــادت لـــك الأعـــداء كيـــدا ... ورامـــوا الازدراء والابتلاعـــا**
**بـــدلنا مالـــدينا واتخـــذنا الـــن ... فـــو س لـــك والمعاقـــل والقـــلاع**

## 2– المقاومة:

توالت ظواهر الهامش في العديد من القصائد الشعرية لتشمل نوعا آخر منها، ألا وهو مظهر المقاومة التي تعرف بأنها: **"حق الدفاع عن النفس والأرض، والعقيدة، والقيم، وكان يعبر عنها في تراثنا العربي بالجهاد، في مواجهة العدو وهو الجهاد الأصغر، ومواجهة النفس ومغالبة الهوى وهو الجهاد الأكبر كما جاء في الحديث النبوي الشريف، ذلك لأن بناء النفس من الداخل يعد من أصعب الأمور وأشقها، والشخصية التي تقاوم شتى أنواع المغريات، وتكون محصنة داخليا هي التي يعتمد عليها في الملمات، وتكون العامل الأول في النجاح في مقاومة الأعداء"**[24]، وهذا ما عبرت عنه مجمل قصائد الكتاب، وجعلت من خطابها خِطَابًا وجِيهًا تُوَجِّهُ به رؤيتها للشباب الجزائري، وتُدَعِّمُ فكرة الجهاد بشتى أنواعه، حيث نلمس صورا عديدة للمقاومة نَدَّدَ بها شعراء الجزائر في هذا الكتاب والمتمثلة في: الدفاع عن النفس والهوية الدينية والوطنية، والإصرار على مبدأ التحدي والصمود الذي يؤدي إلى تغيير الذات بفتح المجال لها للتطلع إلى المستقبل المتحرر، المقاومة الفكرية وبعث الكيان الفكري المتعلم المكتسب لمجموع القيم الإنسانية الواعية والمتحضرة، والجعل منها أساسا قويا لمناهضة المستعمر ومطاردته، حيث كانت من أبرز موضوعات الحركة الإصلاحية، التي ترجمتها إلى فعل شعري فني ينادي الناس، ويعلن عن إلزامية الدخول إلى باب التغيير الفكري والنفسي والحياتي بصفة عامة من أجل بلوغ المرامي التي تمنح حياة أفضل للشعب الجزائري.

ونلمح ذلك في قصيدة: **"مدارج الخلاص والتحرير"** للشاعر **"أبو اليقضان"**[25]:

**ابـن صـرح المجـد عـن أسـى الضـحايا وأشـــد عـــرش العـــلا رغـــم البلايـــا**
**خـــض غمـــار الهـــول غوصـــا إنمـــا لؤلـــؤ التيجـــان فـــي بحـــر المنايـــا**
**إن فـــي المـــوت لطـــلاب العـــلا لحيـــاة إلا حيـــاة أهـــل الـــدنايا**
**إنمـــا الـــدنيا جهـــاد مـــن يـــنم يومـــه داســـته أقـــدام الرزايـــا**

لم يتحدد الجهاد ضد العدو في جانب الوقوف بالسلاح فقط وإنما؛ كان بالجهاد الفكري والتحلي بالعلم الذي يجد من خلاله المهمش فكرة الخلاص، وإبعاد الضرر والمقاومة من أجل استرداد النفس القوية أولا، والإعلان عن الغضب الرافض للحالة المأساوية للشعب الجزائري ثانيا، فإزاحة المأساة لا تكون من خلال الظفر بحياة الرفاهية والتخلص من الفقر والجوع والعوز وإنما، تتم عن طريق إشباع العقول، وتعبئة

مفاهيمها بثقافة عربية أصيلة، لا تأخذ من الدخيل إلا ما يساير ركبها في الحياة، المنطلق الذي يصر الشاعر "**محمد الهادي السنوسي الزاهري**" عليه في قصيدته: "**تلك المدينة كم دان الزمان لها**":

**وهـــــذي الحيـــــاة ميـــــادين رزق ولا رزق يـــــأتي بـــــدون صـــــراع**

**وقـــــد مـــــن رب العبـــــاد علينـــــا بزمـــــرة علـــــم تجـــــل اليـــــراع**

**فلـــــيس الشـــــجاعة قطـــــع طريـــــق ولا وأبيـــــك اخـــــتلاس الكـــــراع**

**ولكنهـــــا الجـــــد فـــــي عمـــــل يعـــــود علـــــى النـــــاس عـــــود وشـــــياع**

ما نستنبطه من خلال هذه الأبيات أن المقاومة في هذه الواجهة الشعرية هي عبارة عن مقاومات فكرية تتجلى عن طريق العلم، والتفقه الديني، واتخاذ الحكمة والفطنة موقفان ثابتان في الحياة، هدفا من تحقيق النصر الشامل.

**خاتمة:**

ما نخلص إليه أخيرا من خلال دراستنا لكتاب شعراء **الجزائر "لمحمد الهادي السنوسي الزاهري"** أن:

1. تناول هذا الكتاب قضية الالتزام لأغراض شعرية معينة كالشعر الثوري والاجتماعي والنهضوي، حيث لاحظنا أن مجمل القصائد الشعرية التي تضمنها الكتاب كانت قصائد توعوية توعي الفرد الجزائري للحالة الاجتماعية المعيشة آنذاك، وتخاطب العقل الجزائري وتحثه على الجهاد والقتال في سبيل الله والوطن، وتمكنه من اتخاذ السبل الصحيحة لتحقيق الكفاح، ونيل الحرية وتحقيق راية النصر، فالالتزام الشعري كان وسيلة خطابية من أجل تغيير الواقع الملموس، والنهوض بالنفس البشرية من تحت ركام العبودية والقهر والاستبداد.
2. ركز هذا الكتاب على تفعيل سلطة الهامش التي تحيل إلى الطرح الإيديولوجي للهيمنة الثقافية من قبل الاستعمار، ومحاولة استردادها من قبل المستعمَر، فالهامش مثل صورة الشعب الجزائري وآليات السيطرة عليه من جميع النواحي بتقييد أفكاره، وتثبيط إرادته، وإضعاف قوته، فأصبح يعيش ضمن دائرة الهامش، مقابل فرض الهامش لهيمنته كأساس إيديولوجي بغية تحقيق أهدافه الاستعمارية ليحل محل المركز.

3. استخدم هذا الكتاب المنهج التاريخي عن طريق تفعيل النصوص الموازية كهامش خادم للمضمون الشعري الذي احتوى هو الآخر على ظواهر التهميش المتعددة، ضف إلى ذلك فاختيار المنهج التاريخي ساعد على توضيح صورة الواقع الجزائري المستعمر، كما أنه كان وسيلة حديثة لتأريخ الفن الشعري الجزائري في فترة الاستعمار.
4. احتوى هذا الكتاب في طرحه الإيديولوجي على إيديولوجيتين تحاول كل واحدة منهما أن تطبق أفكارها على أرض الواقع تتمثل في إيديولوجية الهامش، وقد خصت الشعب الجزائري، وإيديولوجية المركز وقد خصت الاستعمار الفرنسي.
5. تمركز الهامش في هذا الكتاب في شقين: الأول تمثل في النصوص الموازية التي عملت على تسخير فائض المعنى، وشرح الكلمات التي يستصعبها القارئ، كون أن المعجم اللغوي الذي اعتمده الشعراء هو المعجم اللغوي القديم، الذي خدم النص الشعري التاريخي، كما خدم قضية الالتزام في الشعر، أما الثاني فتمثل في المضمون الذي بث روح المقاومة في نفس المهمش، بعدما صوره لنا الشعراء في حالة تأزمية لابد لها من تغيير واقعها المفروض عليها من قبل المستعمِر الذي سلب مكانة المهمش– الشعب الجزائري– المتمثلة في المركز.

## الهوامش والإحالات:

[1]:محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، المطبعة التونسية، ط1، تونس، 1926م ص6.

[2]:دليلة الباح، عبد الرحمن تيبرماسين، المركز والهامش مفهومه، أنواعه، جذوره، مجلة قراءات، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، جامعة بسكرة، العدد4، 2012م، ص299

[3]:المرجع/ المصدر نفسه، ص301

[4]:حنان بن قيراط، المركز والهامش في الأدب، جامعة 8ماي 1945م، قالمة– الجزائر، ص28، تصفح: 2021/10/17م،سا: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/102189.17:57

[5]:محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية 1975/1925م، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت 2006م، ص38.

[6]:إيمان محمد إبراهيم العبيدي ، المركز والهامش في الشعر الجزائري– دراسة نقدية في الفحولة والأنوثة، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة بغداد كلية التربية–ابن رشد للعلوم، العدد السابع عشر، 2015م، ص242.

[7]:ينظر، أبكر آدم سليمان، جدلية المركز والهامش قراءة جديدة في دفاتر الصراع في السودان، ص12، تصفح2021/10/17م سا 18:30. https://www.noor-book.com

[8]:شاكر عبد الحميد، عصر الصورة- السلبيات والإيجابيات، منتدى سور الأزبكية، (د،ط)، 1978م، ص4.

[9]: محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص31.

[10]: محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ص 20، 56، 130، 188،68، 197، 198.

[11]: المرجع نفسه، ص 153.

[12]: المرجع نفسه، ص 27، 33، 79، 86، 93.

[13]:محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص30.

[14]المرجع نفسه، ص نفسها.

[15]: أزهر مساعدية، الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، دار الخلدونية، الجزائر، (د،ط)، 2013م ، ص60.

[16]:المرجع/ المصدر نفسه، ص61.

[17]:المرجع/ المصدر نفسه، ص91.

[18]:محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ص37،38.

[19]:رشيد سكري، النقد الإيديولوجي والأدب، تحديث: 2021/04/12م، تصفح: 2021/08/22م، الساعة:00:17 https://www.alquds.co.uk.

[20]:المرجع/ المصدر نفسه، ص166.

[21]:المرجع/ المصدر نفسه، ص86.

[22]: ينظر، أزهر مساعدية، الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، ص91.

[23]:محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ص120.

[24]: محمود السيد، تجليات المقاومة في الشعر العربي المعاصر، تاريخ التصفح: 2021/11/14م، سا 00:07. http://www.arabacademy.gov.sy/uploads/lectures2018/alsayed/13.pdf

[25]:محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ص117.

## قائمة المصادر والمراجع:


1. أبكر آدم سليمان، جدلية المركز والهامش قراءة جديدة في دفاتر الصراع في السودان، تصفح: 2021/10/17م، سا 18:30. https://www.noor-book.com
2. أزهر مساعدية، الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، دار الخلدونية، (د،ط)، الجزائر، 2013م.
3. إيمان محمد إبراهيم العبيدي ، المركز والهامش في الشعر الجزائري- دراسة نقدية في الفحولة والأنوثة، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة بغداد كلية التربية- ابن رشد للعلوم، العدد السابع عشر، 2015م
4. حنان بن قيراط، المركز والهامش في الأدب، جامعة 8ماي 1945م، قالمة، تصفح: 2021/10/17م، سا: 17:57 https://www.asjp.cerist.dz/en/article/102189

5. دليلة الباح، عبد الرحمن تيبرماسين، المركز والهامش مفهومه، أنواعه، جذوره، مجلة قراءات، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، جامعة بسكرة، العدد4، 2012م.
6. رشيد سكري، النقد الإيديولوجي والأدب، تحديث: 2021/04/12م، تصفح: 2021/08/22م، الساعة:00:17 https://www.alquds.co.uk
7. شاكر عبد الحميد، عصر الصورة- السلبيات والإيجابيات، منتدى سور الأزبكية، (د،ط)، 1978م.
8. محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، المطبعة التونسية، ط1، تونس، 1926م.
9. محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية،1925/1975م، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت 2006م.
10. محمود السيد، تجليات المقاومة في الشعر العربي المعاصر، تاريخ التصفح: 2021/11/14م، سا 00:07. http://www.arabacademy.gov.sy/uploads/lectures2018/alsayed/13.pdf